﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗاۗ وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۚ وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٥﴾ [آل عمران: 145]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الإرجـاف بموت الرّسول المختار، لا يمنع الدّعوة، ولا تـصـاريـف الأقدار

بعد أن بيَّن في الآية السَّابقة، أنَّ من سنَّة الله في الرُّسل أنّهم معرّضون للموت، بمن فيهم رسول الله المصطفى، وأنَّ موت أحدهم ليس مسوِّغًا لترك الجهاد، دفاعًا عن هذا الدِّين،، لذلك جاءت هذه الآية تتمَّة لما سبق؛ لتنصح النّاس أنّه ينبغي للمؤمن أنْ لا يتقاعس عن الدِّفاع عن الإسلام، لأنّ الشَّجاعة والبسالة والإقدام، في ميدان الوغى، لا تقرّب الموت؛ ولأنّ النّكوص والتّولّي يوم الزّحف، لايصرفه ولا يؤخّره، إذ الموت أجلٌ مفروضٌ محتوم، وميقاتٌ محدّدٌ معلوم، فكلُّ سلامة قدرٌ، وكلُّ منيّة بقضاء، وليست الأمراض المستعصيّة، ولا الحوادث المتواليّة، إلّا ملابسات تطرأ، وأسبابًا مجازيَّة تحدث؛ لكنّ الأصل الحقيق بالإلتفات، هو حلول الأجل الّذي به تحين الوفاة.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ﴾: النَّفْسُ: الرُّوحُ، يُقال: خَرَجَتْ نَفْسُ فُلانٍ، أيْ: رُوحُهُ. وأَصْلُ الكلمة مِن التَّنْفِيسِ، وهو: الخُروجُ مِن الجَوْفِ. وتُطْلَقُ النَّفْسُ على الدّم؛ لأنَّهُ أَساسُ الحَياةِ، أو لأنّ الرُّوحَ تَخْرُجُ بِخُروجِهِ، يُقَال: سالَتْ نَفْسُهُ، أيْ: دَمُهُ. ومِن مَعانيها أيضًا: الجَسَدُ والحسَدُ والذّاتُ والحَقِيقَةُ والعِزّةُ والهِمّةُ[1]، وَالنَّفْسُ قِوَامُهَا بِالنَّفَسِ. قَال الشّاعر:

(1) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (نفس).

تَبِيتُ الثَّلَاثُ السُّودُ وَهِيَ مُنَاخَةٌ عَلَى نَفَسٍ مِنْ مَاءِ مَاوِيَّةَ الْعَذْبِ[1].

وقوله تعالى ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾ [المائدة: 116]، أي تَعْلَمُ ما أُضْمِرُ ﴿وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ﴾ [المائدة: 116]، أي لا أعلمُ ما في حقيقتك ولا ما عندَك عِلْمُه، فالتَّأْوِيل: تعْلَم ما أَعْلَمُ ولا أعلمُ ما تعْلَمُ[2]، والنّفس البشريّة المسمّاة روحا، هي سرّ الله المودع في الهيكل البشريّ المسوّى من الطّين، وهي جوهر وجود الإنسان، قال الشّاعر أبو الفتح البستيّ:

يا خادِمَ الجِسم كمْ تشقى بخِدْمَتِهِ *** لِتطلُبَ الرَّبحَ في ما فيه خُسْرانُ

أقبِلْ على النَّفسِ فاستكمِلْ فضائلَها *** فأنتَ بالنَّفسِ لا بالجِسمِ إنسانُ[3]

واللّفظ هاهنا ﴿لِنَفْسٍ﴾ يعطي دلالة على أنّ موت النّفس أيًّا كانت، لا يتأتّى إلّا بمشيئة الله، وهو تعبير عن منهج القرآن في تصويب الملمح العقديّ عند المؤمنين، وخصوصًا عند الأزمات الكبرى، فجاء الاستثناء والنّفي، يبرزان المنحى التّأصيليّ للإيمان، بأنّ الله يحرّك الأقدار بحكمة عليا، لا تندُّ عنها نفسٌ مهما دنت أو علت بها الرّتب، ومهما كانت من الدّهماء أو من النّخب، مع وضوح معنى اللّفظ، وفصاحة المبنى، والبلاغ عن مدلوله، المواتي لمضمون الآية.

2) ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: الإذْنُ: مَصْدَرُ أَذِنَ، يَأْذَنُ، وأصْلُه: رَفْعُ المَنْعِ، وإطلاقُ الفِعْلِ، والإباحَةُ، يُقالُ: أَذِنْتُ لَهُ في شَيْءٍ، أيْ: أطْلَقْتُ له فِعْلَهُ. ويُطْلَقُ الإذْنُ على الإعْلام، ومِنه الأذان: وهو الإعْلامُ بِدخولِ الوقتِ، وأَذِنْتُ بِالشَّيْءِ: عَلِمْتُ بِهِ. والإسْتِئْذانُ: طَلَبُ الإذْنِ[4]، اللّفظ يوحي بهيمنة الله وسلطانه على ملكوته، وتدبيره لمقادير الحياة والموت، ممّا يعجز عنه البشر، ولا يطيقون له حملا، فكلّ الأنفس لا يحين أوان موتها إلّا بأمره سبحانه وتعالى، أو أمر من يقبض الرُّوح روحه من الملائكة، وهذه حقيقة علميّة، وعقيدة دينيّة، وظاهرة كونيّة، لا يتأخّر عنها بشر، فهي سنّة الله الّتي لا تنقض، وقانونه الّذي لا مفرّ منه ولا مهرب، والّذين يعاجلون الأقدار بالانتحار، إذا التقت إرادة الله مع السّبب المتّخذ،

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نفس).
(2) ابن سيده، المحكم: (نفس).
(3) أَبُو الفَتح البُستي، قصيدة عنوان الحكم، ص: 36.
(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات، والزّبيديّ، تاج العروس: (أذن).

فإنّ المنتحر يموت بما سلّط على نفسه، وإن كان في قدر الله أن يعيش، هبّت ريّاح حظّه، وحملت إليه نسائم الحياة، فأنقذته الأقدار، وفشل ما كان يعزم عليه من انتحار، وماذا لك إلّا بإذن الله الواحد القهّار[1].

3) ﴿كِتَٰبًا﴾: الكِتابُ: اسمٌ لما كُتِبَ مجموعًا، وكتَبَ الشَّيءَ، أي: خَطَّه. ومِنْ معاني الكتاب: الصَّحِيفة، والدّواة، والقَدَر وهو ما عليه المعنى في الآية، والفَرض، كما يُطلق على المنزل، وعلى ما يكتبه الشَّخص ويرسله[2]، والمعنى أنّ لفظ (كتابًا) في الآية مصدر مؤكّد، وتقديره: (كتب كتابًا)، ومن اعتقد بمقادير الله، السّائرة فوق ماتضمّنه الكتاب الّذي يحوي قدر صاحبه، ويتجلّى فيه ما رسمته الأقدار، ليبرز من عالم الغيب، إلى عالم الشّهادة، فيترسّخ اليقين بأنّ الموت بقدر، لا يتقدّم ولا يتأخّر، وقد قيل:

أيَّ يَوْمَيَّ مِنَ المَوْتِ أَفِرّ *** يَوْمَ لَا قُدِّرَ أَمْ يَوْمَ قُدِرْ

يَوْمَ لَا قُدِّرَ لَا أَرْهَبُهُ *** وَمِنَ الْمَقْدُورِ لَا يَنْجُو الْحَذِرْ[3]

4) ﴿مُّؤَجَّلًا﴾: التَّأْجِيلُ: مَصْدَرٌ مَأْخُوذٌ مِن الفعلِ أَجِلَ الشَّيْءُ، يُقال: أَجَّلْتُهُ تَأْجِيلًا: جَعَلْتُ له أَجَلًا. وأَجَلُ الشَّيْءِ: مُدَّتُهُ ووَقْتُهُ الذي يَحُلُّ فيه. وخِلافُه: العاجِل. والتَّأجِيلُ: تَعْيِينُ وَقْتٍ مُحدَّدٍ في المُسْتَقْبَلِ لِأَداءِ حَقٍّ أو فِعْلِ شَيْءٍ. وجَمْعُهُ: آجالٌ[4]، ومؤجّلًا بمعنى مؤقّتًا، لا يتقدّم ولا يتأخّر عن موعده المدقّق، بأمر الله المحقّق، والهزيمة لا تدفع الموت والثّبات لا يقطع الحياة[5].

5) ﴿وَمَن يُرِدْ﴾: الرَّوْدُ: التّردّد في طلبِ الشَّيء برفق، يُقال: رَادَ وارْتَادَ. والإِرَادَةُ منقولة من رَادَ يَرُودُ: إذا سَعى في طلبِ شيءٍ، والإِرَادَةُ في الأصل: قُوَّة مُركَّبة مِنْ شَهوةٍ وحَاجةٍ وأَملٍ، وجعل اسمًا لنُزوع النَّفس إلى الشَّيءِ مع الحُكم فيه بأنَّه يَنبغي أن يفعل، أَوْ لَا يفعل، ثمَّ يُستعمل مرّة في المَبدأ، وهو: نزوع النَّفس إلى الشَّيء، وتارةً في المُنتهى،

(1) الشّعراوي، تفسير الشّعراويّ: 3/1801.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والجوهريّ، الصّحاح، والزَّبيديّ، تاج العروس: (كتب).
(3) ابن عبد ربّه، العقد الفريد: 6/124.
(4) ابن سيده، المحكم، وابن فارس، مقاييس اللغة، والجوهريّ، الصّحاح، وابن منظور، لسان العرب: (أجل).
(5) الشّربينيّ، السّراج المنير: 1/253.

وهو الحُكم فيه بأنَّه ينبغي أن يُفعل أو لا يُفعل[1]، ومعنى اللّفظ في السّياق: " من يرد بعمله وطاعته الدّنيا ويعمل لها، نؤته منها ما يكون جزاء لعمله، والمعنى نؤته منها ما نشاء على ما قدّرناه له"[2]، والإرادة نيّة وعزيمة ومبادرة، تتّصل فيها المشاعر المشبوبة بالإيمان، بمتطلّبات الهداية، ومأمورات العناية، والنّاس في توجّههم التعبّدي بين طِلَاب إحدى الدّارين، إمّا الدّنيا وإمّا الآخرة، وعلى قدر النيّة يكون الأجر من المعطي، لأنّه يبلو السّرائر، وبها يؤتي.

6) ﴿نُؤْتِهِۦ﴾: الإيتاءُ بالمدِّ يُسْتَعْمَلُ في الإعْطاءِ، وَفي الإتْيانِ بالشَّيءِ، تَقُولُ: آتَى يُؤْتِي إيتَاءً. وَفي الكشَّافِ: اشْتَهَرَ الإيتاءُ في مَعْنَى الإعْطاءِ، وأَصْلُه الإحْضارُ. وذَكَرَ الرَّاغبُ أَنَّ الإيتاءَ مَخْصوصٌ بدَفْعِ الصَّدقَةِ؛ وليسَ كَذَلِكَ، فقد وَرَدَ في غيرِهِ: كقوله تعالى: ﴿يُؤْتِيهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [آل عمران: 79]، أي: يُعطيَه اللّه كتابَه وحيًا إليه، و﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾﴾ [مريم: 12]، و﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الصّافات: 117]، إلَّا أَنْ يكونَ قَصَد المَصْدَر فَقَط[3].

7) ﴿ثَوَابَ﴾: مَصْدَرُ: أَثَابَهُ يُثِيْبُهُ إِثَابَةً وَثَوَابًا، وَمَعْنَاهُ: الجَزَاءُ عَلَى العَمَلِ، يُقَالُ: أَعْطَيْتُ فلَانًا ثَوَابَهُ أَيْ: جَزَاءَ مَا عَمِلَ، وَالثَّوَابُ مِنَ اللّه ﷻ: الجَزَاءُ عَلى مَا عَمِلْتَهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَهُوَ أَيْضًا: مَا يَرْجِعُ عَلَى المُحْسِنِ مِنْ إِحْسَانِهِ، وَعَلى المُسِيْءِ مِنْ إِسَاءَتِهِ[4]، والمراد بثواب الدّنيا في الآية: الغنيمة ونحوها، نزلت في الّذين تركواْ مركز المراقبة، وطلبوا الغنيمة، واللّفظ يعمّ كلّ متاع الدّنيا ممّا تطلبه الأنفس وتشتهيه، وإن كان السّبب الّذي نزلت فيه الآية خاصًّا، ويقابله ثواب الآخرة، وهو الجنّة، وذلك أيضا عامّ في كلّ عمل نؤته من ثوابها، ويضاعف أجره أضعافاً كثيرة[5].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

يُبيِّن اللّه تعالى أنَّه ما كان لنَفْسٍ أن تموتَ إلَّا بإذن اللّه، وذلك إذا جاء أجلُها الَّذي

(1) الخليل، العين، والراغب، المفردات: (رود).
(2) الخازن، لباب التّأويل: 1/306.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرَّاغب، المفردات: (أتي)، والزَّمخشري، الكشَّاف: 4/198، والسَّمين، عُمدة الحفاظ، والزَّبيدي، تاج العروس: (أتي).
(4) ابن دريد، وجمهرة اللغة، والأزهريّ، تهذيب اللغة، وابن سيده، المحكم: (ثوب).
(5) القِنَّوجي، فتحُ البيان: 2/347.

كتَبه الله لها، ثم أَخبر تعالى أنَّه يُؤتي النَّاسَ من ثواب الدُّنيا والآخرة ما عَلَقتْ به إرادتُهم؛ وانعقدت عليه نياتهم، فمَن يُرِدْ ثوابَ الدُّنيا بعملِه، يُؤتِه منها، ومَن يُرِدْ به ثوابَ الآخِرة، يُؤتِه منها، ولكلّ منهما سنن تتّبع، وطرق تسلك، والمؤمن يطلب الحسنيين، والله يعطيه كلّ مطلوبه أو بعضه، بحسب سنن الله وتدبيره لنظم الحياة، وسيُثيب الله تعالى الشَّاكرين، فيعطيهم من فضله الواسع، بقدر شكرانهم له، والتزامهم بمراده[1].

الموت قدر محتوم، وعلى قدر المقاصد والنّوايا، تكون عند الله العطايا

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالة التَّعبير بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ﴾:

جيء في هذا الحكم بصيغة الجحود؛ للمبالغة في انتفاء أن يكون موت قبل الأجل لتوجّه النّفي إلى الكون عمومًا ثمَّ إلى الموتِ خصوصًا[2].

بلاغة الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾:

في الجملة الكريمة استثناء مُفرَّغٌ من أعمِّ الأسباب، أي: وما كان الموت حاصلًا لنفس من النُّفوس بسبب من الأسباب إلَّا بمشيئة الحقِّ سبحانه وتعالى، على أن الإذن مجاز فيها؛ لكونها من لوازمه، أو إلا بإذنه سبحانه وتعالى لملك الموت في قبض روحها[3].

الموت والحياة بيد الله وحده

بلاغة أسلوب القصر بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾:

أفاد القَصْر في الآية الكريمة التَّأكيد بألَّا يموت أحدٌ قبل بلوغ أجله، وخاصَّة في المعارك، وهو قصر حقيقيٌّ، وجاء القصر بطريقِ النَّفي والاستثناء، لتنزيل المنهزمين من المعركة الفارّين من الموتِ منزلة من ينكر أن النّفس لن تموت إلّا بإذن الله، كما أفاد

لا موت لأحد من خلق الله إلا بأجل مكتوب

(1) المراغي، تفسير المراغيّ: 4/90.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/114.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السليم: 2/94، والبروسويّ، روح البيان: 2/105، والآلوسّي، روح المعاني: 2/294، والقنّوجي، فتح البيان: 2/346، ورضا، تفسير المنار: 4/137.

القصرُ تأكيد مضمونِ الجملةِ، ولازم ذلك تحريضهم على القتال، وتحميسهم للجهاد في سبيل الله، ودفع شُبَه الوهن والتَّخاذل عنهم، بما يستلزم استدامة الحميّة للحقِّ، والغَيْرة على الدِّين، وتوقُّد جذوة الثَّأر له من خصومه الشانئين والكائدين في قلب المؤمن.

بلاغة المجاز في قوله ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾:

في الجملة مجاز مُرسل وذلك بإطلاق الإذْن على المشيئة، أي: إلَّا بمشيئة الله؛ لأنَّ الغالب أنَّ الإذن في الشَّيء لا يقع إلَّا بمشيئة الآذِن، والملازمة بين المشيئة والإذن مُصحِّحة للمجاز[1].

الإذن في الشَّيء لا يقع إلَّا بمشيئة الآذِن

بلاغة المجاز بإسناد الموت إلى النَّفس اختيارًا:

وظاهر التَّركيب في قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ﴾ يدلُّ على أنَّ الموت من الأفعال التي يُقدم عليها اختيارًا، فقد شاع: ما كان لزيد أن يفعل كذا، فيما إذا كان ذلك الفعل اختياريًّا، لكنَّ الظَّاهر هنا متروك بأن يجعل ذلك من باب التَّمثيل بأنَّ صور الموت بالنِّسبة إلى النُّفوس بصورة الفعل الاختياريِّ الذي لا يقدم عليه إلَّا بإذن[2]، ويمكن أن يراد بالإذن (حقيقته)، والمراد: إذنه لملك الموت بقبض الأرواح، لكنَّ القول بأنَّه تمثيل أو مجاز أولى، وهو أعمُّ، ويندرج فيه القول الثَّاني.

أو هو تعبير بالموت عن طلبه، والإلقاء بالنَّفس في مظانِّه، وهي المواقع القتالية من مقدِّمة وساقة ومؤخِّرة واستطلاع وحراسة وغيرها، فيكون مجازًا مرسلًا، علاقته الملابسة، وثمرته التَّنويه: بأنّ الموت المقصود هنا: وهو الاستشهاد في سبيل الله، محْض اصطفاء وإنعام، وتوفيق وإكرام، فمهما استبسل المجاهد، وحرص عليها حرص خالد؛ فإنّ الحرص على الموت موهبة للحياة، كما أُثِر عن الحكيم المنطيق أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(1) الآلوسي، روح المعاني: 2/289، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 3/1435.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 2/289.

دلالة التَّعبير في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾:

لكلِّ عُمْرٍ أجَل
ولكلِّ أجلٍ قدَر

جاء المصدرُ مؤكِّدًا، أي كتب الله الموتَ كتابًا مُؤجَّلًا، أي مُؤقَّتًا بوقت معلوم لا يتقدَّم ولا يتأخَّر، ويحتمل أن يكون المصدر مع صفتِه مؤكِّدًا لمضمون قولِه تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾، أي يُؤكِّد معنى ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾؛ لأنَّ قوله: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ يُفيد أنَّ له وقتًا قد يكون قريبًا، وقد يكون بعيدًا[1].

مناسبةُ التّعبير في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾:

في الآية فوائد لغوية وبلاغية، هي[2]:

1. أفادت (مَن) الشّرطية في الموضعين العموم، فيكون المعنى عامًّا يشمل جميع من ينطبق عليه الوصف، ويندرج فيه أهل موقعة أُحد اندراجًا أوَّليًّا.

2. التَّعريض بالَّذين تركوا موقعهم في غزوة أُحد؛ طلبًا للغنيمة، ومدحٌ لمن ثبتوا مع النَّبيِّ ﷺ في ميدان المعركة.

3. بديعُ الطِّباق بين ثواب الدُّنيا، وثواب الآخرة، لإفادة المقارنة على سبيل الإيضاح والبيانِ وتركِ الاختيار للمخاطبين.

4. أَنَّثَ (الضَّمير) في ﴿مِنْهَا﴾، وهو في المعنى راجع إلى الثَّواب؛ للإشعارِ بأنَّ ثوابَ الدُّنيا، هو: الدُّنيا، وثوابَ الآخرة، هو: الآخرة، فرجوع الضّمير إلى المضاف إليه إيذان بأنَّ المضاف ملتبس به غيرُ منفكٍّ عنه، ويقول القائل: (اللَّهم ارزقني الآخرة)؛ وهو يريد: ثوابَها.

5. فيها التفات لطيف لخروجِ الكلامِ مِن الغيبةِ إلى التكلُّم بنون العَظمةِ، ليكونَ على خلاف ما يترقَّبه السَّامعُ؛ لتنبيه المخاطَب على ما ينبغي تأكيد الإصغاء إليه؛ لأهميّته وللاعتناء بشأنِه، كما أنَّ فيه تطريةً لنشاطِ السَّامعِ لحسنِ الكلامِ.

(1) الزمخشري، الكشاف: 1/424، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 2/41، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/115.
(2) الزمخشري، الكشاف: 1/424، والواحدي، التفسير الوسيط: 6/45، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 2/94، والقنُّوجي، فتح البيان: 2/347.

حسن التّذييل في قولِه ﴿وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ﴾:

لمّا خيَّر الله عباده في إرادة ثواب الدّنيا وثوابِ الآخرة بيَّن أنّه سبحانه سيجزي الذين يريدون ثواب الآخرة، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى معانٍ هي[1]:

1. لاتكرارَ في جملة التَّذييل مع التي سبقتها في قوله تعالى ﴿وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾، فالجملة الأولى ذكر فيها الشّاكرين على نعمة الثبات في المعركة وعدم الارتداد عن الإسلام والتي في هذه الآية عامَّةٌ لكلِّ النّاس، فذكر الشّاكرين على نعمة إرادتهم ثواب الآخرة.
2. إنَّ الله تعالى يُنَعِّمُهُمْ بِنَعِيمِ الدُّنْيَا، وَلَا يُقْصِرُهُمْ عَلَى نَعِيمِ الْآخِرَةِ
3. لمّا كان الشُّكر على مقابلِ النِّعمة دلَّ على أنّهم يشكرون الله على إرادتهم ثواب الآخرة.
4. فيه إشارة إلى أنَّ الشُّكرَ مطلوب على نعمةِ الهدايةِ
5. لمّا أبهم الجزاء ولم يعيّنه دلَّ على فخامتِه وعظمتِه وعمومِه بحيث يقصر عنه البيان.
6. وفي اقتران السين بالفعل دلالة على قرب حصولِ الجزاء، ففيه إشارة إلى تنعّمهم بنعيمِ الدنيا والآخرة لرغبتِهم في ثواب الآخرة وطلبهم لها.

وبعضُ ما تقدّم في فوائد حسنِ التَّذييل في الآية السابقة يأتي هنا، وهو واضحٌ.

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الرُّوح والنَّفس:

الرُّوح جَوهَرٌ لطيفٌ حاملٌ قوَّة الحياة والحسِّ والحرَكةِ الإراديَّة، وهي أَمْرٌ مِن الله تعالى، تَعجز العُقولُ عن إدراك كنهه، كما قال تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: 85]. والنَّفس هي ما يجمع بينَ الرَّوح والبَدَن، وتُطلق على القُوَّة الدَّاعية إلى البِرّ والشَّر. والرُّوح: التَّنفُّس، وقد أراح الإنسان إذا تنَفَّس[2]، وقد لاقت هذه المسألة

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 3/367، والطيبي، فتوح الغيب: 4/291، والآلوسي، روح المعاني: 2/292، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/114.

(2) الراغب، المفردات: (روح)، وسعد بن عبد العظيم، موسوعة الفروق القرآنية: 2/748.

اهتماما كبيرا، وكتبت فيها مصنّفات، وذكرت فيها نقاشات، و"نطقتِ الشّريعةُ بقَبْضِ الرُّوحِ والنَّفْسِ، وقد قال تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: 85]، والظّاهرُ أنَّ الخَوْضَ في هذا كُلِّهِ عَنَاءٌ، وإنْ كَان قَد تعرَّضَ للقَوْلِ في هذا ونحوه أئمةٌ، ذَكَرَ الثّعلبيُّ عن ابن عبّاس أنّه قال: (في ابن آدم نَفْسٌ ورُوحٌ، بَيْنَهُمَا مِثْلُ شُعَاعِ الشَّمْسِ، فالنَّفْسُ هِيَ الَّتي بها العَقْلُ والتّمييزُ، والرُّوحُ هي الّتي بها النَّفَسُ والتَّحَرُّكُ، فإذا نام العَبْدُ قَبَضَ اللّٰهُ تعالى نَفْسَهُ ولم يَقْبِضْ رُوحَه)[1]، وقد أفاض السّيوطيّ في حاشيّته على البيضاويّ معلّقا وشارحا لما أورده الغزاليّ في كتابه: (الانتصار لما في الإحياء من الأسرار)، في مشابهة أجزاء العالم لأجزاء الإنسان، والّذي قال فيه: "ولا يناقض ما ذكرناه هنا من التّفرقة بين الرّوح والنّفس، قولنا في الإحياء: إنّهما شيء واحد؛ لأنّ لها معنى يسمّى بالرّوح تارة، وبالنّفس أخرى، وبغير ذلك"[2]، وقال الشّهاب الخفاجيّ: "أراد بالنّفس ما به العقل والتّمييز، وبالرّوح ما به النّفس والحركة، فإذا نام العبد قبض اللّٰه نفسه، ولم يقبض روحه"[3].

الإيتَاء والإعْطَاء:

الإيتاءُ أَقْوَى مِنَ الإعْطاءِ في إثْباتِ مفْعولِه؛ لأنَّ الإعْطاءَ لَهُ مُطاوِعٌ بخِلافِ الإيْتاءِ، تقولُ: أَعْطاني فعطوت، وَلَا يقالُ: آتَاني فَأتيت، وإنَّما يقالُ آتَاني فأَخَذْتُ. والفِعْلُ الَّذي لَهُ مُطاوِعٌ أَضْعَفُ في إثْباتِ مَفْعولِه ممَّا لَا مُطاوِعَ لَهُ؛ لأنَّك تقولُ: قَطَعْتُه فانْقَطَعَ، فيدلُّ على أَنَّ فِعْلَ الفاعِلِ كانَ مَوْقوفًا على قبولِ المَحلِّ، لولاه مَا ثَبَتَ المَفْعُولُ، وَلِهَذَا لَا يصحُّ قَطَعْتُه فَمَا انْقَطَعَ، وَلَا يصحُّ فيمَا لَا مُطاوِعَ لَهُ ذَلِك؛ ودليل ذلك في مَواضِع مِنَ القُرْآنِ، قالَ تعالى: ﴿تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: 26]؛ لأنَّ المُلْكَ شيءٌ عَظيمٌ لَا يُعْطاهُ إلَّا مَنْ لَهُ قُوَّةٌ؛ وقالَ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر: 1]؛ لأنَّه مورود في المَوْقفِ مُرْتَحِل عَنهُ إلَى الجنَّة. وذهب الزَّبيدي إلى أنَّ الإعْطاءَ أَقْوَى مِنَ الإيتاءِ؛ وَلذَا خَصَّ في دفْعِ الصَّدَقاتِ الإيتاءَ ليكونَ ذلكَ بسُهولَةٍ من غَيْرِ تَطَلُّعٍ إلَى مَا يَدْفَعه، وتَأَمَّل سائِرَ مَا وَرَدَ في القُرْآنِ تَجِدْ مَعْنَى ذلكَ فِيهِ، والكَوْثَرُ لَمَّا كانَ عَظِيمًا شَأْنُهُ غَيْر داخِلٍ في حِيطَةِ قُدْرَةٍ بَشَرِيَّةٍ اسْتُعْمِل الإعْطاءُ

(1) ذكره ابن عطيّة في تفسيره: 4/534، والسّيوطي في الدُّرّ المنثور: 5/616، وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، نقلاً عن الثّعالبيّ، الجواهر الحسان: 5/93.

(2) السّيوطيّ، نواهد الأبكار: 1/184.

(3) الخفاجيّ، عِنَايةُ القَاضِي: 7/340.

فِيهِ. وكَلامُ الأئمَّة وسِياقُهم في الإيتاءِ لَا يُخالِفُ مَا ذَكَرْنا[1]، وخلاصة القول فيهما، أنّ الإعطاء دليل التّملك دون الإيتاء، وهو قول النّيسابوريّ، ومن حيث إنّ الإيتاء: أقوى من الإعطاء، لأنّ الإيتاء في مواضع وروده في القرآن الكريم، عادة ما يرد فيما له ثبات وقرار، ويضربُ لذلك مثلٌ، بما ذكر القرآن أنّه يؤتى، كالحكمة في قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾ [البقرة: 269]، والسّبع المثاني، في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر: 87]، والملك الّذي لا يؤتى إلّا لذي قوّة، في قوله تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾ [يوسف: 101][2]، والإعطاء: "فيما ينتقل منه بعد قضاء الحاجة منه، كإعطاء كلّ شيء خلقه، لتكرّر حدوث ذلك، باعتبار الموجودات، وإعطاء الكوثر، للانتقال منه إلى ما هو أعظم منه، وكذا ﴿يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾﴾ [الضحى: 5] للتّكرّر إلى أن يرضى كلّ الرّضا"[3]، وهو دليل على دقّة إيراد اللّفظ النّفيس، ووضعه في الموضع الملائم لمؤدّاه، والمناسب لصيغته وموسيقاه.

(1) الزَّبيديُّ، تاج العروس: (أتي).
(2) الكفويّ، الكليّات، ص: 212.
(3) الكفويّ، الكليات، ص: 212.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس، سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 6 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-58-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 6 : سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-58-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-2475776 بتاريخ 2023/03/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»